

استراتيجية الادارة الامريكية الجديدة ازاء الشرق الاوسط^(*)

الاستاذ المساعد الدكتور

حسين حافظ وهيب^(**)

المقدمة

ادى انتهاء حكم الرئيس الامريكي السابق جورج دبليو بوش ليس الى تبدل في الاهداف الامريكية بل الى محاولة معالجة الخلل الناجم عن سوء تحقيق تلك الاهداف لا سيما على مستوى سياسة الولايات المتحدة الخارجية وتحديدًا في منطقة الشرق الاوسط.

تلك المنطقة التي ستبقى ولعقود قادمة منطقة حيوية لمصالح الولايات المتحدة بالنظر الى موقعها الاستراتيجي وثرواتها النفطية والمالية والتزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل وسلامتها ووجودها والسعي لامكانية السيطرة ومنع انتشار الاسلحة النووية.

هذه الملفات التي اذا ما طرأ اي خفض في التعاطي الامريكي لاي منها فسيعود حتماً بالضرر على تلك المصالح. لذلك فان اية دراسة علمية موضوعية تتناول استراتيجية الادارة الامريكية الجديدة لا بد ان تتطرق الى مستويين اساسيين:-

الاول-المستوى الايديولوجي الذي يتضمن مجمل الرؤى والتصورات الفكرية لطبيعة تعاطي الادارة الجديدة مع دول المنطقة .

اما الثاني- فهو الذي يتخطى حدود الخطاب الايديولوجي الى الممكن تحقيقه من الممارسة الميدانية التي لا بد وان تتماهى مع المستوى الاول اذ يصعب الفصل المنهجي بين مستوى الخطاب ومستوى الممارسة الميدانية.

نحن بهذه الدراسة المتواضعة امام امكانية البحث عن الادوات الجديدة التي من خلالها تستطيع ادارة الرئيس اوباما ان تعالج العلاقة السببية التي انتجت ليس منطقة مأزومة من الداخل فقط. ولكن ايضاً علاقة اكثر تأزماً مع الولايات المتحدة ذاتها وعلى اكثر من صعيد، تكاد تُذهب بالمصالح الامريكية في اكثر من دولة في منطقة الشرق الاوسط، بمعنى اننا امام بحث غاية في الاهمية والاتساع والذي لاينتاول حيثيات صنع القرار الامريكي انما الامكانيات المتاحة والسبل الضرورية للتغيير وسيتم التركيز على المتبنيات المطروحة لخطاب التغيير الذي افتتح به الرئيس اوباما عهده الجديد مبشراً بتبني سياسة اليد الممدودة لاكثر من طرف دولي في هذا العالم. ويتبين في هذا الشأن ان هناك اشكالا من التنسيق الاستراتيجي المرتكز على

^(*) المقصود بالادارة الامريكية الجديدة ادارة الرئيس باراك اوباما.

^(**) قسم الدراسات الاستراتيجية- مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد.

المتبنيات الفكرية التي تهتدي بها الادارات المتعاقبة في الولايات المتحدة والتي تتأثر بتيارات اساسية عدة اهمها ثلاث.

١. التيار المثالي المتجذر في السياسة الامريكية والذي يدعو الى التدخل المستمر في الشؤون الدولية على قاعدة المتبنى الفكري الذي يؤيد مبدأ انتشار الليبرالية ونظم الحكم الديمقراطية لاسيما وان منطقة الشرق الاوسط كونها بوصف فوكوياما تقع ضمن العالم التاريخي ولم تتجاوز بعد عتبة عالم ما بعد التاريخ هي بحاجة الى انتشار هذا المبدأ .

٢. التيار الواقعي الذي يشدد على المصالح القومية للولايات المتحدة ويتحاشى المواجهة المستمرة والانغماس في الشؤون الدولية بمعنى ان هذا التيار يحاول الانصراف الى معالجة هموم الداخل ليس بالانفصال عن مؤثرات الخارج بل الاعتماد عليها كوسائل لتحقيق المصالح الامريكية ويبدو ان الرئيس اوباما هو الاقرب الى متبنيات هذا التيار .

٣. تيار صدام الحضارات الذي ظهر بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وما زال دعائه يروجون لفكرة الخطر الداهم الذي يواجه الولايات المتحدة نتيجة الحتمية التاريخية لطبيعة التناحر بين الحضارات ولا سيما بين الاسلام والديانات الاخرى.

وهو التيار الذي لاقى ترحيباً من لدن الادارة السابقة(ادارة المحافظين الجدد) وكان سبباً مباشراً لجملة الاخطاء التي ارتكبت في منطقة الشرق الاوسط خصوصاًالعالم الاسلامي عموماً.

هذه التيارات ليست في الواقع أفكاراً متضاربة أو مفصولة فصلاً نهائياً ، وانما هي مناهج في التفكير يستطيع صناع القرار السياسي التوليف فيما بينها وانقاء ما هو مفيد في تنفيذ استراتيجياتهم .

وبوصف الشرق الاوسط في الفكر السياسي الامريكي منطقة تتضارب فيها توجهات الادارات الامريكية المتعاقبة فانها غالباً ماتتسع او تنتقلص ولسببين اساسيين .

الاول انها تتسع لتشمل المغرب العربي غرباً ودول اواسط اسيا شرقاً بحكم كونها مصدراً للتهديد وفقاً لتصور تيار صدام الحضارات .

او انها تضيق و تتجزأ تبعاً لطبيعة المصالح الحيوية التي ينبغي تحقيقها وفقاً لتصور التيار الواقعي .

فهي تارةً وحدة جيو سياسية متشابهة على الرغم من الاختلافات البنينة في ثقافات شعوبها ومشاكلها الخاصة، وتارةً اخرى وحدات سياسية منفصلة .

الاعتبار الوحدوي يطبعه الاسلام كديانه وثقافة شرق اوسطية غالبية و(كمهدد) حضاري من وجهة نظر تيار صدام الحضارات، فالخطاب الامريكي في متبنيات التهديد يتعامل مع المنطقة على حد سواء

لكنه في متبنيات المصالح لا يخاطب منطقة الخليج الغنية مثلما يخاطب بعض دول اواسط اسيا او انه لا يخاطب ايران كما يخاطب بعض دول المغرب العربي .

لذلك فان نطاق البحث لا يمكنه ان يتسع لمناقشة المنطلقات الاستراتيجية للادارة الجديدة ازاء كل

وحدة من الوحدات السياسية التي يتشكل بموجبها الشرق الأوسط ولا ان يضيق لدراسة بعض الوحدات السياسية لان لاي من هذه الوحدات مشاكلها الخاصة سواء مع الولايات المتحدة ذاتها او مع محيطها الاقليمي وانما سيحاول التركيز على المشكلات التي تشترك فيها دول المنطقة في علاقاتها بالولايات المتحدة، وهي في مجملها تركز على قضايا اساسية ثلاث اهمها اولاً - المواجهة الامريكية مع دول العالم الاسلامي ومن ضمنها دول الشرق الأوسط على قاعدة صراع الحضارات- وثانياً امكانية التحول من المواجهة الى المواءمة وعلى قاعدة المصالح المشتركة الامريكية الاسلامية- وثالثاً- التحول عن اسلوب الربط الجدلي بين الاسلام والارهاب في ادارة الشؤون الامريكية الاسلامية والتخلي عن (مبدأ الحرب الاستباقية)، كل هذه المفردات فضلاً عن المرتكزات الاساسية للاستراتيجية الامريكية التي بموجبها تُصاغ مبررات التدخل الامريكي في الشؤون الدولية سيتم تناولها على وفق المنهج النظمي التحليلي الذي نراه اقرب المناهج العلمية لمثل هكذا دراسة ومن خلال المحاور الآتية:

الفصل الاول-المرتكزات الاساسية للاستراتيجية الامريكية الشرق اوسطية.

ما من شك في ان الولايات المتحدة تصوغ استراتيجيتها في مناطق العالم المختلفة ومنها منطقة الشرق الأوسط على هدي مرتكزات اساسية تحاول من خلالها تمرير سياساتها الخارجية بغية تحقيق الاهداف النهائية لمصالحها القومية ،ولان منطقة الشرق الأوسط من بين تلك المناطق المفصلية في تحقيق تلك الاهداف فقد خصها الخطاب الامريكي بنوع من الاستثنائية لا سيما بعد التحول الحاصل في النظام الدولي منذ انتهاء الحرب الباردة، ذلك التحول الذي تلازم مع شيوع النظام الرأسمالي وانهيال التوازنات التقليدية لحساب الهيمنة الامريكية، والى ظهور قواعد وسياسات جديدة ليس بين الامم والكيانات السياسية بل بين المجتمعات داخل الدول نفسها . أذ لم يعد الحديث عن سيادة الدول مقبولاً في ظل حقائق التدخل في الشؤون الداخلية وعودة الاحتلال العسكري المباشر (افغانستان والعراق)،متملماً لم تعد الدول قادرة على البقاء متماسكة في وجه نتائج العولمة^١. لذلك لا بد للمرتكزات التي كانت سائدة في مرحلة ما ان تشهد تحولاً او تكيفاً مع معطيات المرحلة الراهنة ، تساوفاً مع ما هو حاصل في البيئة الدولية ، خاصة وان منطقة الشرق الأوسط قد شهدت متغيرات متعددة افضت الى تحولات خطيرة على المستويين الوظيفي والبنوي^٢ ومن اهم تلك المتغيرات :- اولاً:- دخول بعض دوله في حروب غير متكافئة مع الولايات المتحدة . ثانياً:- انه شرق اوسط شهد ويشهد حرباً باردة دولية فيما بات يعرف بصراع المحاور (الشر والخير) ،واخرى اقليمية بين الكثير من مكوناته فيما يعرف بصراع الاعتدال والتطرف، ثالثاً: انه شرق اوسط يتراجع في بعض اجزائه دور الدولة لصالح التنظيمات والقوى المسلحة مما سمح بظهور نماذج من الدول الفاشلة. رابعاً:- التحول في طبيعة التحالفات والصراعات وهو تطور خطير وغير مسبوق اذ أن صعود ما يسمى (الخطر) الإيراني في

^١ سميرامين وآخرون - العولمة والنظام الدولي الجديد-مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة كتب المستقبل العربي ط١ بيروت- لبنان ٢٠٠٤

ص ٧

^٢ خليل العناني- اوباما والشرق الأوسط-نوايا جيدة-تفتقد الرؤية -مجلة شؤون عربية العدد ١٣٧- ربيع ٢٠٠٩ ص ١-٢

المنطقة كمصدر للتهديد أدى الى تقارب غير مسبوق ايضا في علاقات بعض الدول العربية مع "إسرائيل"، أي أن تغيير علاقات عدد من تلك الدول مع إيران نحو منحى صراعي أدى بتلك الدول الى التقارب مع "إسرائيل" على قاعدة الخطر المشترك خامساً: - حصول تحول في طبيعة التهديد من الاطار الدولي الى المحلي وهي تحولات تجسد عملياً انحسار اطروحة الامن الوطني لحساب "الترتيبات الدولية الامنية" وازاء كل ذلك لا بد للمرتكزات الاساسية للاستراتيجية الامريكية ان تاخذ دوراً في توجهات الادارة الجديدة من خلال المرتكزات الآتية:-

المبحث الاول - المرتكز الايديولوجي:-

اصحت المكانة الفريدة للولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة تحظى باعتراف عالمي واسع النطاق^٣. وطبقاً لتلك المكانة المتميزة اصبحت هي من تقرر شؤون الكثير من القضايا الدولية والاقليمية والى اجل تقرر عوامل البيئة الدولية القادمة، ولان الشرق الاوسط يحتل مع امتداداته في اتجاه القفقاس واسيا الوسطى موقعاً بالغ الاهمية في جيوسياسة الولايات المتحدة ومشروعها الخاص بالهيمنة على العالم فانها تمسك بشؤونها التي تدين بها لعوامل ثلاثة، موقعه الجغرافي في قلب العالم القديم وثروته النفطية وكونه بات يشكل البطن الرخو في النظام العالمي^٤ فضلاً عن تحول بعض دوله كمصدر للارهاب على الاقل من وجهة النظر الامريكية ، وتبعاً لذلك لا بد وان تتوفر مسوغات ذاتية وموضوعية لتبرير السياسات المطلوبة والضرورية لتلبية المصالح الامريكية في تلك المنطقة ومن اهم تلك المبررات :-

المطلب الاول -المسوغات الدينية : ترتبط المسألة الايديولوجية في الفكر الديني الاصولي

المعاصر بنصوص التشريع الالهي والتأويل البشري الذي يستتبع تلك النصوص.

والعقل البشري المستخدم لمصلحة هوية دينية معينة هو بالضرورة عقل منحاز ومن ثم عقل انتقائي محكوم بمواقف الدفاع والهجوم التي تفقها الجماعة الايديولوجية التي تستخدمه فالعملية مطلوبة له ضمن هذا الاطار من الانحياز والانتقائية والدفاع والهجوم^٥. والظاهرة الدينية كاي ظاهرة كونية لا يمكن عزلها عن نطاقها التاريخي اذ لا وجود لأي ظاهرة مهما كان شكلها او مضمونها حين يراد لها ان تقع خارج السياقات التاريخية التقليدية^٦.

وضمن هذه الطروحات الفكرية يصبح من الطبيعي ان يتلائم الخطاب الديني في بعده الفلسفي والوظيفي مع التوجهات الاستراتيجية العامة للدولة حتى لتلك الدول التي نادى بفصل الدين عن الدولة لكنها فيما بعد وظفت الخطاب الديني في اتجاهات متلازمة مع شؤون الدولة، لا سيما اذا كان هذا التلائم يخدم

^٣ زيغينيو بريجنسكي -الاختيار السيطرة على العالم ام قيادة العالم -دار الكتاب العربي -بيروت لبنان - ٢٠٠٤ ص ١٢

^٤ سمير امين وآخرون العولمة والنظام الدولي الجديد - مصدر سبق ذكره ص ٢٤

^٥ ناصيف نصار - الايديولوجيا على المحك -فصول جديدة في تحليل الايديولوجيا ونقدها - بيروت - دار الطليعة ١٩٩٤ ص ٩

^٦ د-حسين سعد - الاصولية الاسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير - مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة اطروحات

الدكتوراه (٥٢) ٢-٢٠٠٦ ص ٣٨٤

المصالح العليا ولا يتقاطع معها ،من هنا يعكس اعتقاد الطهويون البروتستانت وهم المهاجرون الاوائل الذين استوطنو الولايات المتحدة ومن ثم الكنائس الانجيليكانية مدى التلازم مع الخطاب السياسي الرسمي وحتى هذه اللحظة من التاريخ السياسي الامريكي، اذ انهم يركزون افكارهم على ثلاثة مبادئ اساسية تنتهي بواجبات امريكية حصرية، من هذه المبادئ:- اولاً - ان امريكا كانت موجودة في عقل الله لأهداف محددة منذ بداية الخلق ،وان ثمة خطة شاملة للكون وهي من تدبير الازادة الالهية، هذه الخطة يلعب فيها الطهويون بهجرتهم الى العالم الجديد دوراً مهماً لانهم شعب الله المختار ،اختارتهم العناية الالهية للخلاص والهروب من فساد العالم وآثامه لإنشاء مملكة الله على الارض^٧. هذه الشراكة التعاهدية مع الخالق تشمل مهمة خطيرة وعاجلة وهي تنوير بقية امم العالم وهدايتها وانقاذها من الجهالة والظلام ،ومن هذه الفكرة بالتحديد استمدت معظم اطروحات فوكوياما كمرجعية فكرية للخطاب السياسي الامريكي.

ويسبب هذه الشراكة اصبح الشعب الامريكي الطهوي مجتمعاً دينياً^(*). ومن ثم فأفراد هذا الشعب هم مواطنو مملكة الله المرتقبة^٨.

ثانياً - ان الدين هو الضامن الوحيد للفضائل القومية التي تسمح بالنجاح الدنيوي ،وان الحياة الاخروية هي امتداد للحاضر وما يجنيه الانسان فيها هو نتاج عمله الدنيوي بمعنى ان الايمان هو الذي ينقذ الانسان دائماً وهو الذي يقوده الى الخلاص من كل خطيئة ومن يصيبهم الخلاص هم ليسوا كل الناس انما فقط اولئك الذين يتميزون بأيمانهم بالله .فالايمان بالله هو طريق الخلاص ولخلق عالم بلا خطيئة يكون الايمان بمثابة المعيار المميز بين الخير والشر بين الانسان الصالح والانسان السيئ مثلما هو كذلك بين الدول^٩.

ويترتب على هذه النتيجة ضرورة محاربة الشر وجعل الخير ينتصر عليه.....الخير الذي لا بد ان يسود وينتصر ليتطهر كامل المجتمع من كل شر كامن فيه.

ولاجل ان تكتمل هذه العملية لا بد ان تتسع لتأخذ بعدها الشمولي العالمي بمعنى لا بد ان يكون الاظهار هم جنود المسيح المسؤولين عن نقل كلام الله وتمديد الاخرين من المجتمعات الاخرى، وان

^٧ د-عبد القادر محمد فهمي-الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية-دراسة في الافكار والعقائد ووسائل البناء الامبراطوري - عمان -دار الشروق للنشر والتوزيع -٢٠٠٩ ص-٣٨.

^(*) تشير بعض التقديرات الى ان ٩٠% من الامريكيين يقولون انهم مؤمنون بالله و ٤٠% منهم يمارسون الطقوس الدينية(*) .وتقوم المراجع الدينية بأضفاء الطابع السياسي على خطابهم وخاصة لدى الجمهوريين .فكان ريفان يحب الحديث عن الولايات المتحدة كانها "مدينة مشعة فوق الهضبة" مشيراً الى القديس ماثيو .كما اكد بوش الاب ان الولايات المتحدة ربحت الحرب الباردة "بفضل الله" كما يستعمل بوش الابن مراجع مسيحية لتبرير "صلبيته ضد الارهاب ويصوغ وطنية ذات حق الهي" .لوفافير ص٩٨-٩٩ (*) تشير تقديرات اخرى الى انه من بين كل ٥ اشخاص هناك ٤منهم يعتقدون بالحياة الاخرة وان نسبة الامريكيين المتدينين سجلت ٨٢%مقابل ٥٥% في بريطانيا و ٥٤%في المانيا و٤٨% في فرنسا كما يمارس ٤٤% من الامريكيين الطقوس الدينية .انظر رضا هلال الدين -السياسة في امريكا علمانية ام متدينة-في الامبراطورية الامريكية -الجزء الاول- القاهرة -مكتبة الشروق -طبعة اولى- ٢٠٠١ ص ٢٥٠-٢٥١.

^٨ د-عبد القادر محمد فهمي- مصدر سبق ذكره ص-٣٨.

^٩ المصدر نفسه، ص ٣٤-٣٥.

الأمريكيين هم جنود الديمقراطية والمسؤولين عن نشرها في العالم وقد استمد الرئيس الأمريكي السابق فكرته عن دول محور الشر من هذا التقسيم اللاهوتي^{١٠}.

وعلى وفق هذه الرؤية تكتسب الفوقية الأمريكية بعداً ومسوغاً دينياً ومن ثم فإن المجتمع الأمريكي ومن خلال فلسفته الدينية، على الرغم مما يدعو إليه من حرية العقيدة وفصل الدين عن الدولة يظل الأكثر تحيزاً وتطرفاً لمذهبه الديني ليس بوصفه متميزاً عن سواه من الأديان بل حتى عن المذاهب المسيحية الأخرى، هذه الأفكار هي التي ساهمت في صياغة العقل الأمريكي ومنهج التفكير السياسي الرسمي في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية.

صحيح ان العلمانية لازمت الدولة الأمريكية منذ نشأتها الدستورية عام ١٧٨٩ لكن الفصل بين الكنيسة والدولة في التجربة الأمريكية لم يتحول يوماً الى فصل بين الدين والمجتمع كما هو حال التجارب الأوروبية ولا حتى الى الغاء الدين وإبعاده عن المجتمع مثلما فعلت التجربة السوفيتية، بل ان استمرار الكنيسة بواجباتها الدينية على كافة مستويات المجتمع الأهلي الأمريكي قد اوصل الامر في نهاية القرن العشرين الى ما يمكن تسميته مسيحية اجتماعية فاعلة ومسيطره في بعض الجوانب من المجتمع الأمريكي^{١١}.

، ان نزع الطابع العلماني عن العالم هو من الحقائق الاجتماعية المهيمنة في الحياة في آخر القرن العشرين"

ثالثاً - لعل أكثر المبررات الدينية اهمية وخطورة من القيم الاخلاقية المبنية على الايمان والفضيلة والعمل الصالح، هي الوظيفة الرسالية -التبشيرية ذات الطابع التوسعي، بمعنى ان الدين لا يقوم بعملية التوحيد الاجتماعي داخل المجتمع الأمريكي فحسب، بل ان أمريكا وبفضل قيمها الدينية التي ترتقي بها الى مكانة لاتضاهيها امم وشعوب أخرى، مكلفة بأنجاز وظيفة رسالية لنشر هذه القيم خارج حدودها الإقليمية. ومثل هذه الوظيفة هي موضع الإرادة الإلهية التي لادخل للأرادة الإنسانية فيها سوى الانصياع لها والالتزام بمشيتها، فالقول ان الله قد بارك القانون والنظام والحضارة والعلم الأمريكي كي يكونوا وكلاء له^{١٢}. وان أمريكا امة مختارة وتحيا بروح الكنيسة^{١٣} تعني انها ذات طابع استثنائي علوي وخصوصية تاريخية تميزها عن سائر الشعوب وهذه الخصوصية رعتها العناية الإلهية، ومن هذا الاصل الديني نفسه تم انتاج معنى زعامة أمريكا للعالم فهي زعامة يحتاجها العالم ولا تملك أمريكا الا توليها^{١٤}.

^{١٠} د-عبد القادر فهمي -مصدر سبق ذكره ص ٣٤.

^{١١} د- محمد مراد السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي بين الثابت الاستراتيجي والمتغير الظرفي دار المنهل اللبناني ط ٢٠٠٩ ص ٤٢.

^{١٢} اندرو باسيفيتش -الامبراطورية الأمريكية حقائق وعواقب الدبلوماسية الأمريكية -الدار العربية للعلوم بيروت لبنان ط ٢٠٠٤ ص ٢٧.

^{١٣} منار الشويرجي الثابت والمتغير في سياسة الولايات المتحدة الخارجية -السياسة الدولية -المجلد ٤٠ -العدد ١٦١ -تموز يوليو ٢٠٠٥ -ص ٢١٣.

^{١٤} د- محمد مراد المصدر السابق نفسه، ص ٤٦-٤٧.

لذلك فان الكثير من القادة في الولايات المتحدة يفسرون قرارات السياسة الخارجية الاحادية (في الغالب) التي تتخذها باللجوء عادة الى الحقوق الطبيعية والفضيلة الاميركية والعناية الالهية^{١٥}. ولعل عبارة "ليبارك الله اميركا" التي ينهي بها كل رئيس اميركي خطبه السياسية، ولا سيما تلك التي تتعلق بالحرب او السلم تعمل عمل الدعاء والالتماس الديني. وربما تكون العبارات الآتية خير دليل . (ايها الاميريكيون، ان الولايات المتحدة تعمل باسم الرب ولتكن تلك مشيئتكم يارب) و(الولايات المتحدة على غرار جد البروتستانتية العظيم مارتن لوثر تعلن ان ما من شيء يفقدها سوى ضميرها "اننا نقف هنا ولن نحيد عن ذلك")^{١٦}. وعلى هذا الاساس فان من الخطا القول ان التبريرية الدينية كخلفية ايديولوجية في السياسات الاميركية المستندة الى الافكار والمعتقدات الدينية التي جاء بها الآباء المؤسسون والتي لعبت دوراً كبيراً في ارساء الاسس اللازمة لبناء نظام سياسي -اجتماعي -ديني يتوافق مع عقيدتهم الدينية المنحدرة من الديانة البروتستانتية التي اوجدت منذ البداية جواً دينياً لايزال قائماً حتى يومنا هذا^{١٧}، مرشحة للزوال سواء بانتهاء عهد من العهود الجمهورية او احلال عهد ديمقراطي جديد ، وانما هي باقية بفعل تراكمات ثقافية دينية استمرت لعقود كثيرة وكانت كافية لتكوين بنية مؤسسية فكرية واجتماعية وسياسية والا ما الذي يجعل مفكراً عبقرياً (أيمانويل كانت) يعتقد بان الحرب تخدم اهداف العناية الالهية او القديس توما الاكرويني الذي يقول ان المستبدين كانوا يخدمون غايات العناية الالهية^{١٨}.

نستخلص من كل ما تقدم ان المبررات الدينية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمضامين السياسية والاقتصادية والالمانية للاستراتيجية الاميركية وانها نهضت على تمركز لاهوتي قائم على ميتافيزيقيا يمتزج فيها فعل الانسان بفعل الله الى حد اصبح فيه الله انساناً منذ اللحظة التي حل فيها الله في جسد يسوع المسيح وعد غيابة الحلم الالهي للذات المفكرة والرسالة الالهية النابعة من روح الحقيقة وقد حمل هذا التمركز البذور الاولى للتوقع على الذات مثلما يرى الاستاذ عمر كوش^{١٩}.

المطلب الثاني - المسوغات الفلسفية .

يرى ديبوي وهو من مؤسسي الفلسفة الاميركية ومن المنظرين لها انه (اذا كان لكل امة فلسفتها فان على الفلسفة الاميركية ايضاً ان تعي الحاجات الخاصة لاميركا). الحاجات الخاصة التي جسدها ارتباط الفلسفة الاميركية ب(الذرائعية) التي لاقت رواجاً لدى مفكرين كثر امثال تشارلز بيرس وليام جيمس

^{١٥} بنجامين ر - ياربر - امبراطورية الخوف - الحرب والارهاب والديموقراطية دار الكتاب العربي بيروت لبنان - ٢٠٠٥ ص ٦٣.

^{١٦} المصدر نفسه، ص ٦٤.

^{١٧} د - عبد القادر فاهمي - مصدر سبق ذكره ص ٤٣.

^{١٨} د - محمد مراد - مصدر سبق ذكره ص ٤٣ - ٤٤.

^{١٩} عمر كوش - ميتافيزيقيا التمركز على الذات مجلة الاداب السورية العدد ٤/٣ آذار نيسان ٢٠٠٠ ص ٢٣
 نقلاً عن الاستاذ الدكتور ناظم الجاسور - المرجعية الفكرية للخطاب السياسي الاستراتيجي الامر يكي ما بعد الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١ - طر
 النهضة العربية بيروت لبنان ٢٠٠٦ ص ٢٢

وجوزيا رويس وجورج ميد التي بدأت منذ العام ١٨٥٩^{٢٠}. واستمر التأكيد على الطابع النزاعي فيها حتى بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك دول المنظومة الشيوعية، حيث عدت الاطروحات الايديولوجية مقياساً او حداً فاصلاً لبيان الحالة الانتقالية التي عكستها المتبنيات الفلسفية، فالمجتمعات التي تبنت الديمقراطية الليبرالية انتقلت الى ما يسميه فوكوياما مجتمعات نهاية التاريخ، اما تلك التي بقيت اسيرة الايديولوجيات الشمولية كالماركسية او الفاشية وحتى الدينية، فانها لا تزال ضمن المرحلة التاريخية، هذا الطرح في الحقيقة يختلف كلياً عن المنطلقات الفلسفية الاخرى في نظرتها الى حركة التاريخ الانساني المرتبطة بتحول المجتمعات، وهي متأثرة بدرجة واضحة بطروحات الفيلسوف الالماني هيغل والذي كان يعتقد ان نهاية التاريخ لا تعني توقف الحركة الزمانية وانما تعني نهاية التطور التناحري، فالمجتمع الانساني الذي بلغ نهاية التاريخ قد وصل الى المرحلة النهائية للتطور التاريخي. هذا التطور هو الذي يلغي جوهر الصراع في متبنيات الفلسفات الاخرى مما يجعل الساحة السياسية للدول التي بلغت نهاية التاريخ خالية من التنافر، اذ تتحول المنافسة فيها الى منافسة سلمية خالية من اي وجه من اوجه الصراع. ويوضح فوكوياما وعلى غرار الحتمية التاريخية ان الدول التي تتبنى الديمقراطية الليبرالية ستنتقل حتما الى مرحلة نهاية التاريخ وان عددها في تزايد، اذ لم تكن تزيد في بداية القرن الماضي عن ١٣ دولة معظمها يقع في الجزء الغربي من القارة الاوربية ولكنها اصبحت في العقد الاخير من القرن العشرين ٦١ دولة موزعة على معظم القارات^{٢١}. ومما يشجع على هذا التزايد هو ان نقائص النظم الديمقراطية آخذة في الزوال بدءاً بانتهاج اطروحة الدول الفاشية وانتهاءً بتحول الدول عن الشيوعية. وعلى عكس صموئيل هنتنغتون يعتقد فوكوياما ان المجتمع الانساني ينحو الى التجانس منه الى الصراع وان عملية انتقال المجتمعات ستظل مفتوحة ولكن بشرطين اساسيين. الاول توافر الوعي الليبرالي والثاني درجة معينة من التطور الاقتصادي لكنه في الوقت نفسه يربط هذا التطور بالمذهب البروتستانتي دون سواه من المذاهب والديانات الاخرى وهنا يقع في خطأ التخصيص الضيق اذ انه يرى ان العلاقة بين المذهب البروتستانتي والتقدم الاقتصادي ما زالت واضحة حتى اليوم في امريكا اللاتينية حيث تبع حركة اعتناق البروتستانتية تزايد في الدخل الفردي ونقص في السلوك الاجرامي ... الخ. ويستند فوكوياما في نظريته تلك الى الدراسة المعروفة التي قدمها الاقتصادي الشهير ماكس فيبر المعنونة (الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) التي يشير فيها الى الترابط الوثيق بين الديانة المسيحية بشقيها النصراني (Calvinist)، والبيوريتاني (puritan) والنمو الاقتصادي^{٢٢}.

رغم ان التبريرات الفلسفية التي طرحها فوكوياما قد توقفت عند حدود التقسيم المفاهيمي الذي اريد منه تكريس الفصل النهائي بين انسانيتين، فصل يتضمن بؤساً لمعظم الانسانية التي خسرت نهاية التاريخ

^{٢٠} جيرار ديلودال - الفلسفة الامريكية ترجمة د. د. كتوره ود. الهام الشعراي - المنظمة العربية للترجمة - بيروت لبنان ط ٢٠٠٩ ص ١٢-٢٤.

^{٢١} فرانسيس فوكوياما - نهاية التاريخ - ترجمة وتعليق - الدكتور حسين الشيخ - دار العلوم العربية - بيروت لبنان (د. ت) - ص ٢٥٦.

^{٢٢} المصدر السابق ص ٢٥٦.

ويتضمن بالمقابل عزل النخبوية في عرش خارج العالم، لكنه ابقى العلاقة الوحيدة القائمة بينهما هي مبدأ الاخضاع بالقوة^{٢٣}.

الاخضاع القائم على فرضية فوكوياما ان ما عدا العالم الاسلامي يبدو ان هناك اتفاقاً عاماً على قبول الديمقراطية الحرة كأكثر اشكال الحكم عقلانية وهو يفترض كذلك اذا كان ذلك حقيقة فلم لم تصبح الدول خارج العالم الاسلامي دولاً ديمقراطية؟^{٢٤}.

يجيب عن هذه التساؤلات المستشار الاسبق للامن القومي الامريكي زيغينو بريجنسكي بالقول ان الاسقاط الخارجي للديمقراطية الامريكية ينسجم مع المسؤولية شبه الامبريالية ويمكن للقوة المهيمنة الدفاع عن الديمقراطية بل تعزيزها لكن يمكن ايضاً تهديد الديمقراطية، في المحور الاول اذا طبقت في الخارج بطريقة تراعي طموحات الاخرين وحقوقهم لكن في المحور الثاني اذا اعتمدت الشعارات النفاقية في للديمقراطية^{٢٥}. ونحن نعتقد ان اسقاط النماذج الديمقراطية في الشرق الاوسط بطريقة نفاقية يمثل تهديداً لكل النماذج الديمقراطية التي لا تتوافق مع الرؤية الامريكية وربما مثل عدم التعاطي الايجابي الامريكي مع فوز حماس في انتخابات ٢٠٠٦م الدليل القاطع عن ذلك، من كل ما تقدم يمكن القول ان مستقبل العالم لن يرتكز الى المبادئ الجيوسياسية التي كانت معروفة بل سوف يتبع مصطلحاً جديداً هو الجيوفلسفي الذي سيساهم في اخفاء وجه القانون الجيوسياسي التقليدي وتقديم قانون يقسم الامم الى قسمين الاول الدول الحضارية التي استحققت الفوز بكمال التاريخ والوصول الى نهايته والثانية الامم العاجزة عن الوصول الى كمال التاريخ، وتقع شعوب الشرق الاوسط ضمن الامم العاجزة، ومن هنا تنطلق رسالة الرجل الابيض الاستعمارية مجدداً في الاخذ بيد المتخلفين بغية ايصالهم الى ما يسميه فوكوياما الجنة الموعودة ولكن هذه المرة ليس على قاعدة التحرير بل على قاعدة الاخضاع بالقوة. والحقيقة التي لا جدال فيها هي ان انقضاء اكثر من عقدين على تحول الولايات المتحدة الى القوة المهيمنة الاولى في العالم ولطالما كان الساسة وصناع الاستراتيجيات الكبرى يسعون وفي اطار قرن امريكي حقيقي يحتضن العالم كله مؤمنين بان مثل هذه الامركة الكريمة للعالم سوف تجلب السلام والوفرة لكن السلام ظل بعيداً كما الاطمئنان الى قدوم الجنة الموعودة^{٢٦} مثلهم في ذلك كما قال الله عز في فرعون قوله: «قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد:»^{٢٧} فكذبه الله تعالى بقوله: «و ما أمر فرعون برشيد»^{٢٨}.

المبحث الثاني - المرتكزات الجيوسراتيجية

^{٢٣} فرانسيس فوكوياما -نهاية التاريخ والانسان الاخير- المصدر السابق ص ١٩.

^{٢٤} فرانسيس فوكوياما -نهاية التاريخ المصدر نفسه ص ٢٣٩.

^{٢٥} زيغينو بريجنسكي -الاختيار- السيطرة على العالم ام قيادة العالم -المصدر السابق ذكره

^{٢٦} اندرو باسفيتش -المصدر السابق ذكره ص ٤١- ٤٦

^{٢٧} سورة هود، الآية ٩٧.

^{٢٨} القرآن الكريم - سورة المؤمن الآية ٢٩

إذا كانت الجيو استراتيجية تُعنى بالبحث في المركز الإستراتيجي للدولة أو الوحدة السياسية، سواء في الحرب أو السلم، فتتناوله بالتحليل استناداً إلى عناصره أو عوامله، بمعنى أنها تهتم بدراسة الموقع الإستراتيجي للدولة أو المنطقة الإقليمية، ومدى تأثير هذا الموقع وتلك المنطقة في العلاقات السلمية والحربية^{٢٩}. فان الدلالة الامريكية المبكرة على حيوية الموقع الجيوستراتيجي للشرق الاوسط قد ظهرت في تصريح ادلى به الفريد ماهان القيادي في البحرية الامريكية والذي ترجع اليه التوصيفات الاولى لمنطقة الشرق الاوسط والذي جاء فيه ، ان الشرق الاوسط سواء كمفهوم استراتيجي ام كموقع على الحدود الجنوبية للبحر المتوسط واسيا هو مسرح مواجهة استراتيجية بين القوى المتصارعة^{٣٠}، وإذا كانت الدلالة كذلك فما المقصود بالشرق الاوسط في الاصطلاح الجغرافي-السياسي الأمريكي؟. انه كامل المنطقة الممتدة لمساحة جغرافية تقدر بحوالي ١٧،٧٧٨ مليون كم ٢ موزعة على الشكل الآتي^{٣١}: -الوطن العربي ١٣،٩٢٣ مليون كم ٢ اي المساحة الاجمالية لأقطار الجامعة العربية وعددها ٢٢ دولة - الدول الاسيوية التالية:باكستان ٧٩٦١٠٠ كم ٢ افغانستان ٦٥٢٠٩٠ كم ٢ ايران ١٦٣٣١٩٠ كم ٢ تركيا ٧٧٥٠٠٠ كم ٢ بالاضافة الى قبرص ٩٢٥١ كم ٢. اما الكتلة السكانية الشرق اوسطية فهي حسب احصاءات تعود لعامي ٢٠٠١ و٢٠٠٦ وكالاتي:

جدول الكتلة السكانية الشرق اوسطية^(٣٢) احصاءات العام ٢٠٠٦ احصاءات العام ٢٠٠١

المنطقة	السكان (مليون نسمة)	% الى الاجمالي
الوطن العربي *	٣١٩،١٦	%٥٠،٨
باكستان *	١٥٠	%٢٤
افغانستان **	٢٥،٨	%٤
ايران **	٦٧	%١٠،٦
تركيا **	٦٦	%١٠،٥
قبرص **	٠،٧٥	%٠،١
المجموع	٦٢٨،٧	١٠٠

تشكل مساحة الشرق الاوسط حوالي ١٢،٥% من اجمالي مساحة العالم في حين تمثل كتلته السكانية قرابة ١٠% منه. اما الجغرافيا السياسية للشرق الاوسط فقد تناولتها بالتوصيف دراسات كثيرة آخذة بعين الاعتبار تدرج القوة والتماسك بدءاً من المركز وصولاً الى الاطراف فالشرق الاوسط هو عبارة عن ثلاث دوائر متداخلة الدائرة الاولى تمثل قلب الشرق الاوسط او المجال الحيوي وتضم العراق، سوريا، لبنان، الاردن، فلسطين ومصر اما الدائرة الثانية فتضم السعودية والسودان وليبيا وايران وتركيا وتمثل النطاق الاول اما الدائرة الثالثة التي تمثل النطاق او الغلاف الثاني فيضم بلاد المغرب العربي: تونس، الجزائر، المغرب

^{٢٩} لمزيد من التفاصيل انظر د - سعود العابد الفرق بين الاستراتيجية والجيوستراتيجية الدراسة المنشورة على الرابط

<http://www.alrivadh.com/2010/03/25/article509799.html>

^{٣٠} مروان بحيري السياسة الامريكية والشرق الاوسط من ترومان الى كينجسجر في - السياسة الامريكية والعرب - مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط ٣-١٩٩١ ص ٤٩.

^{٣١} د - محمد مراد - مصدر سبق ذكره ص ٣٤٥.

^(٣٢) الجدول ماأخوذ عن من د - محمد مراد - سبق ذكره، ص ٣٤٦.

وموريتانيا. وهناك امتدادان أيضاً آسيوياً يضم باقي دول شبه الجزيرة العربية وتشمل: اليمن، الكويت، قطر، البحرين، الامارات وسلطنة عمان.

والثاني يمثل دولتين افريقيتين الصومال واثيوبيا. هناك أيضاً امتداداً اوروبياً شرقاً اوسطياً: قبرص-اليونان. وامتداداً آسيوياً شرقاً ويشمل: باكستان، افغانستان والجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز التي استقلت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وهي: كازخستان، اوزبكستان، تركمانستان، قيرغيزستان، طاجكستان واذربيجان^{٢٢}. لذلك فان تباين التوصيفات في كتابات الكثير من المفكرين ومختلف مراكز الدراسات الاستراتيجية ومنذ ذلك الحين يكون امراً طبيعياً بسبب تباين الكثير من العناصر الجيوستراتيجية في الكثير من وحداته السياسية، وخاصةً في العناصر او المفردات المكونة للجيوستراتيجية ذاتها وهي الجيوسياسية والجيواقتصادية والجيوا عسكرية والجيوا معلوماتية^{٢٣} وعليه فان دراسة المرتكزات الجيوستراتيجية للولايات المتحدة ازاء منطقة الشرق الاوسط تقودنا الى ما تسمح به هذه الدراسة لتسليط الضوء على بعض المفردات وبيان اهميتها وتأثيرها في صناعات القرار كمحددات او دوافع تتحكم في صياغة السلوك الامريكى ازاء المنطقة.

المطلب الاول -المسوغ الجيوسياسي :

الجيوا - سياسي تعبير اوروبي يعود الى بداية القرن العشرين، ويستهدف تحليل العلاقة بين السياسة والموقع الجغرافي، وكان السويدي رودولف كجلين قد ابتكر هذه الكلمة، كما كان الالمانيان فريدريك رانزل وكارل هاوسهوفر قد شجدا على اهمية الجغرافيا بالنسبة لقوة اي دولة^{٢٤}. ولان الشرق الاوسط كأقليم جغرافي يتوسط دائرة تضم القارات الثلاثة "آسيا وافريقيا واوروبا التي يعيش عليها اكثر من ثلاثة ارباع سكان الكرة الارضية، وفيه تتضارب المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحلية والعالمية ومايتفرع عنها من تناقضات على مختلف الصعد، لذلك فانه يمثل نقطة تماس استراتيجي وساحة تنافس دولي خطير. وحتى بعد نهاية الحرب الباردة وتلاشي الاتحاد السوفياتي لايزال الشرق الاوسط يمثل البؤرة التي يتركز فيها تصادم الدول .

يشكل الشرق الاوسط بالنسبة الى الخطاب السياسي الرسمي للولايات المتحدة وحدة جيوسياسية واضحة وان تضمنت اكثر من منطقتين متميزتين هما جوار اسرائيل والخليج النفطي وتختلف كل واحدة منهما من حيث وظيفتها الجيوا سياسية والجيوا عسكرية^{٢٥} اذ تتنازع هذه المنطقة عوامل عدة اكثرها بروزاً عاملان احدهما جغرافي والاخر بنيوي اقتصادي سياسي وامني واي من هذه العناصر يشكل اهمية خاصة للولايات

^{٢٢} المصدر نفس، ص ٣٤٦-٣٤٧

^{٢٣} د- سعود العابد مصدر سبق ذكره

^{٢٤} مكسيم لوقابفر -السياسة الخارجية الامريكية -مصدر سبق ذكره ص ١٤٦

^{٢٥} سمير امين - مصدر سبق ذكره ص ١٥-١٦

المتحدة^{٣٦}. هذه العوامل لا يلغي احدها الآخر بل يمكن ان يكون معززاً له. فالبتترول وحده لم يكن هو الذي شكل مصير الشرق الاوسط ، لان الشرق الاوسط في التاريخ السحيق للحضارات وقبل اكتشاف البترول بزمان طويل كان بمثابة ملتقى استراتيجي للطرق بين افريقيا واوراسيا كما هو الحال اليوم ولكن بعد التغيير الوظيفي للمنطقة وبالنفت او بدونه ستظل الاهمية الاستراتيجية وخاصة الجيوعسكرية قائمة^{٣٧}. تنشط الولايات المتحدة في سعيها لاحكام السيطرة على الشرق الاوسط بتعاون وثيق مع ركائز اقليمية كانت تمثلها ايران الشاه والمملكة العربية السعودية في ما كان يسمى بـ(الدعامتين) فضلاً عن حليفيتها تركيا واسرائيل وكانت تحاول ضم العراق الى تلك الركائز من خلال حلف بغداد الذي نشأ في عام ١٩٥٥م واطيح به في عام ١٩٥٨م . وهي اليوم تزيد تلك الركائز لتضم دولاً شرق اوسطية اكثر مصر والاردن ، افغانستان والعراق مثلاً فضلاً عن دول الخليج الست ، وهي في هذا النشاط الذي ما فتئ يعبر عن نفسه في مطارح شتى تؤكد ان هذا الشرق هو الرئة التي تتزود منها ما يلزم من الطاقة لمواجهة عناء التنافس الدولي الذي ابقى اوربا على هامش المنطقة راضية بان تدافع الولايات المتحدة وحدها عن مصالحها الحيوية كما ابقى الكثير من الدول الطامعة بالعزوف عن المنافسة معها^{٣٨}. ومنذ احتلال العراق في عام ٢٠٠٣ م ظهرت مرحلة جديدة كانت ملامحها الاساسية اختفاء المظاهر السيادية لبعض الدول الشرق اوسطية حتى تلك المتعاونة مع الولايات المتحدة وظهر نظام اقليمي جديد انطلق من رؤية جيوسياسية غير تقليدية ويتميز بالتواجد العسكري الامريكى المباشر ليس في العراق فحسب بل في دول عربية شتى وما يلحقه هذا التواجد من اختفاء مظاهر التوازن الاقليمي التقليدي الذي كان قائماً، وغياب ابسط قواعد السلوك القانوني الذي يحكم الدول . يهدف النظام الاقليمي الجديد الى اعادة تشكيل نظام الامن الدولي بما يخدم المصالح الامريكية ويحاول كذلك تحييد القوى المنافسة للولايات المتحدة في مناطق الصراع الدولي ، ومن ثم فان ما أريد منه ليس سوى تجسيد نجاح التوجهات الاستراتيجية الامريكية التي تعود اصولها الى ما قبل انتهاء الحرب الباردة حين وضعت الولايات المتحدة خطوطاً حمراء على بعض مناطق التنافس الدولي بينها وبين الاتحاد السوفيتي مما يعني او يعكس تخطيطاً امريكياً جيوسياسياً عالمي الابعاد لم تراع فيه حقوق الدول الاساسية الرئيسية في النظام الدولي.

المطلب الثاني-المسوغ الجيو اقتصادي:-

لم يكن لمصطلح الشرق الاوسط اية دلالة تاريخية سابقة على القرن التاسع عشر فهو مصطلح حديث في الادبيات الغربية تزامن ظهوره مع مرحلة الصعود الرأسمالي الذي عرفته اوربا في اعقاب الثورة الصناعية والذي لم يلبث ان بلغ مستويات عالية من المراكمة الرأسمالية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،وتحت ضغط الحاجة المتزايدة الى المراكمة راحت الرأسماليات الاوربية تفتش عن مناطق جديدة تستجيب لمتطلباتها على صعيدين اثنين :-الاول،الحصول على المواد الخام الضرورية لتوظيفاتها الصناعية

^{٣٦} د- محمد مراد -مصدر سبق ذكره ص ١٥ .

^{٣٧} لينون لاروش - الشرق الاوسط مفترق طرق استراتيجي- الدربيل ١٤-٧-٢٠٠٢ .

^{٣٨} سمير امين ، المصدر سبق ذكره، ص ١٥

من جهة ،والثاني ،الاندفاع نحو الكتل السكانية من اجل التوسع في ايجاد الاسواق لتصريف فائضها السلعي من جهة اخرى .ومع تزايد الاختراق الرأسمالي للسلطنة العثمانية في مناطق نفوذها في شرق اوربا (البلقان) لا سيما في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ومن ثم الاختراق الاكبر الذي حصل بعد الحرب العالمية الاولى وانتقال ممتلكات الدولة العثمانية الى دول اوربا الغربية، تكونت مجموعة من الدول التي انتجها نظام رأسمالية المركز (اوربا الغربية) لتلتحق به على قاعدة الاستتباع الاقتصادي والسياسي ، حينذاك ظهر مصطلح الشرق الادنى لتمييزه عن مصطلح الشرق الاوسط . وعلى عكس نظريات المجال الحيوي السابقة التي ركزت على اوراسيا على أساس ان السيطرة عليها يمكن ان تتيح لاية قوة السيطرة على العالم اهتمت النظريات الجديدة بمنطقة الشرق الاوسط كواحدة من اهم المناطق الجيوستراتيجية للسيطرة على العالم (ان من يسيطر على الشرق الاوسط يسيطر على النفط العالمي ومن يسيطر على النفط العالمي يسيطر على اقتصاد العالم على الاقل في مدى المستقبل المنظور ^{٣٩} . وخلال مرحلة الحرب العالمية الثانية وما تلاها تمت صياغة مفهوم السيطرة على منطقة الشرق الاوسط لاحتلال القوة الامريكية بدلاً من القوى الاوربية لتحقيق مصالح الولايات المتحدة انطلاقاً من فرضيتين الاولى ان القوى الاوربية غير قادرة على تحقيق السيطرة الفعلية على تلك المنطقة بسبب خروجها منهكة من الحرب العالمية الثانية، وثانياً ان السيطرة على تلك المنطقة امر بالغ الاهمية للسيطرة على العالم اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً لان هذه المنطقة تعد خزناً لمعظم احتياطي نفط العالم ^{٤٠} ولا تريد القوى الاوربية لغير الولايات المتحدة ان تمارس هذا الدور .

لقد ادركت رأسمالية المركز الامريكي ان السبيل الامثل لتجاوز ازمته الداخلية تكمن في امتصاص الفوائض النفطية وتوظيفها في تأمين حراك رأسمالي تراكمي، ذلك ان قانون الرأسمالية يعتمد المراكمة كشرط لازم لاستمرار النظام الرأسمالي وصموده بوجه الازمات التي يمكن ان تعصف به من الداخل والخارج على حد سواء ^{٤١} .

لذلك ظلت منطقة الشرق الاوسط ومنذ ذلك التاريخ حلقة اساسية في مشروع الولايات المتحدة للسيطرة على العالم برمته ^{٤٢} . ويرى الكثير من الباحثين ان الولايات المتحدة تتدخل اليوم عسكرياً من اجل تحقيق مصالحها الاقتصادية بالدرجة الاساس . فالعراق وافغانستان ينسجم احتلالهما مع نظرية جغرافية القوة التي نادى بها ماكيندر والتي تربط بين السيطرة على قلب العالم والسيطرة على كل العالم ربطاً عضوياً، فهما يقعان على خط القوة داخل اسيا وهما لا يوفران للاحتلال الامريكي قوة الامن العسكري والسياسي

^{٣٩} فنسان الغريب -مصدر سبق ذكره ص ٢٧١ .

^{٤٠} المصدر نفسه، ص ٢٧١ .

^{٤١} د - محمد مراد -مصدر سبق ذكره ص ٣٠٥ .

^{٤٢} فنسان الغريب -مصدر سبق ذكره ص ٢٧٠ .

الاستراتيجي فقط وانما قوة الامن الاقتصادي الاستراتيجي بفعل المخزون الهائل من النفط في بحر قزوين من جهة وفي شمال وجنوب العراق من جهة اخرى^{٤٣}.

ان سبب اهتمام الولايات المتحدة بنفط المنطقة يعود الى تزايد الحاجة الامريكية الى استهلاك الطاقة لا سيما وان عجزاً تصاعدياً بدأ يطبع ميزان النفط منذ مطلع السبعينيات من القرن الماضي (ينظر الجدول التالي). وان هناك ثلاثة عناوين رئيسة تجعل من منطقة الشرق الاوسط مركزاً جيو اقتصادياً بالغ الخطورة على الاقتصاد الامريكي، هذه العناوين هي: اولاً حماية الاقتصاد الامريكي من اي هزة قد يتعرض لها نتيجة انقطاع تدفق النفط وحتى ارتفاع اسعاره بشكل كبير بسبب الطلب المتزايد عليه من قبل الصين واوربا واليابان، ثانياً الحفاظ على مستوى ونمط الحياة في الولايات المتحدة القائمين على الاستهلاك الكثيف للطاقة، وعدم تعريض هذا المستوى والنمط لاي تهديد مهما كانت الكلفة. وثالثاً التحكم بأسعار النفط وتوزيعه، ومن ثم التحكم بعصب اقتصاديات الدول الصناعية المنافسة للولايات المتحدة كالصين واليابان واوربا او بمعنى اخر: حل المأزق الامريكي المتمثل بتراجع موقع الاقتصاد الامريكي عالمياً من خلال استعمال ادوات الهيمنة الكونية بما فيها الوسائل العسكرية المتفوقة لديها وهو ما يرتبط بالمركز الجيوعسكري^{٤٤}.

جدول رقم (٢)

تطور العجز في ميزان النفط الامريكي (١٩٧١ - ٢٠٣٠) (نسبة مئوية)^{٤٥}

العام	١٩٧١	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥	٢٠٠٤	٢٠١٥	٢٠٣٠
نسبة العجز %	٢٦%	٣٧%	٤٣%	٥٨%	٦٤%	٦٩%	٧٤%

الفصل الثاني - الادارة الامريكية الجديدة والشرق الاوسط.

كان من بين نتائج ادارة الرئيس السابق جورج دبليو بوش وحروبه في الشرق الاوسط هي نشأت الدور القيادي الامريكي وضياعه واحياناً عدم قبوله في المجتمع الدولي والذي اثر باكثر من اتجاه، كان اهمها .اولاً-انه حول الانتباه عن قضايا عالمية خطيرة يمكن ان تواجه دول العالم بأسره، وكان يمكن ان تلعب فيها الولايات المتحدة دوراً قيادياً ومحورياً مقبولاً، واهم تلك القضايا موضوع انتشار اسلحة الدمار الشامل ممثلاً بامتلاك كوريا الشمالية وما يشاع عن المسعى الايراني في هذا الاتجاه، فضلاً عن قضايا كونية اخرى كحروب الابدانة العرقية والازمات الدولية المتقلبة (افريقيا) وتعميق الهوة بين دول الشمال والجنوب، اذ لم تجد الادارة الامريكية السابقة الحلول المناسبة لاي منها بل فاقمت من حداثها .وثانياً - تزايد الاحساس بالخطر الذي تمثله سياسة الولايات المتحدة على امن العالم واستقراره من خلال متبنياتها الفكرية في تجاوز المجتمع الدولي واللجوء الى الحرب الاستباقية كتكليف ومهمة آلهية في سابقة خطيرة لتأكيد الاستثنائية الامريكية والاستخفاف بما يثير

^{٤٣} د- محمد مراد - مصدر سبق ذكره ص ١٧٥-١٧٦.

^{٤٤} فنسان الغريب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٢.

^{٤٥} الجدول مأخوذ عن دمحم مراد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٨.

قلق الآخرين، مما تسبب في تزايد الشعور بان الولايات المتحدة ابعد ما تكون عن الدولة الاعظم في رعاية القانون الدولي^{٤٦}. وهي عندما تتدخل في شان دولي فان مآله الفساد، ولهذا فهي دولة يمكن الاسغناء عنها في ادارة الشؤون الدولية^{٤٧}. وإذا اضفنا الى تلك المبررات والاسباب سواها من الاسباب الداخلية الاخرى وفي مقدمتها الازمة المالية وتزايد المديونية وما يستتبعهما من انتشار البطالة وافلاس الكثير من المصارف الرئيسة والشركات الكبيرة فضلاً عن تنامي الارهاب الداخلي في ما تم التعبير عنه في وثيقة الامن القومي لعام ٢٠١٠م لوجدنا ان ثمة حاجة حقيقية لتصحيح مسار الاستراتيجية الامريكية في اكثر من مجال، ويبدو جلياً ان اكثر المواضيع التي تناولتها الصفحات الاثنتان والخمسون من تلك الوثيقة هي العلاقة الامريكية مع العالم الاسلامي لا سيما شعوب ودول الشرق الاوسط وبعض القضايا الرئيسة الاخرى التي سنتناولها بشيء من التفصيل، لذلك يصبح من الضروري للادارة الجديدة ان تكشف عن الكثير مما اخطأت به الادارة السابقة ويستحق ان توليه اهمية خاصة وفي مقدمة تلك الاخطاء ما ارتكب في اكثر المناطق حيوية للمصالح الامريكية، واعني تحديداً منطقة الشرق الاوسط . التي يمكن ان تكون فيها خطوات التغيير قادرة على دفع عجلة العلاقات الامريكية الشرق اوسطية الى فضاء ارحب مما تشهده اليوم لا سيما اذا اقترنت بنية صادقة بعيداً عن ممارسات الادارة السابقة وذلك من خلال التركيز على المحاور الآتية :-

المبحث الاول- التحولات المحتملة في استراتيجية الادارة الجديدة ازاء الشرق الاوسط من

الممكن القول ان اكثر الهفوات التي ساقته الادارة الامريكية السابقة للسقوط في براثن الاعتقاد الخاطئ بالنور السلبي لبعض الاديان لا سيما الدين الاسلامي النظر اليه وفقاً لمدرسة صراع الحضارات على انه التحدي الخطير لحضارة الغرب ومنها الولايات المتحدة بشكل اساسي^{٤٨}.

كما ان الاستخفاف بدور الدين والثقافة الدينية في الشؤون الدولية هو الاخر الذي اوقع تلك الادارة في ما اسمته وزيرة الخارجية الامريكية السابقة كوندليزا رايس بمئات الاخطاء التكتيكية سواء في العراق او افغانستان^{٤٩}.

وإذا كان التحدي الاسلامي بالنسبة لمدرسة صراع الحضارات يكمن بالصدام ليس بين الاصولية الاسلامية ولا بين التطرف والغرب بل بين الاسلام نفسه والغرب فان هنالك البعض من المسلمين من يعتقد كذلك ايضاً انطلاقاً مما وصفه صقر الحوالي عميد كلية الدراسات الاسلامية في مكة بان الحرب على العراق هي حرب الغرب ضد الاسلام^{٥٠}.

^{٤٦} بولس خلف - نحو عودة الحرب الباردة جريدة الاخبار بيروت - لبنان العدد ٢٥٨٥١ في ٧-٢-٢٠٠٧.

^{٤٧} اندرو باسفيتش - مصدر سبق ذكره ص ٢٧٧.

^{٤٨} دوارد ب. دجيريجان الخطر والفرصة - رحلة سفير امريكي في الشرق الاوسط - ترجمة - السيد عليوه دار الكتاب العربي - بيروت لبنان - ٢٠٠٩ ص ٣٠١

^{٤٩} كوندليزا رايس - وقعنا في عدة اخطاء في العراق انظر التصريح الكامل على الرابط

<http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=201515>

^{٥٠} صموئيل هنتغون مصدر سبق ذكره ص ٤٠٤

يطرح هنتنغتون تصوره عن الاسلام بانه حضارة مختلفة عن الغرب والشعوب الاسلامية مقتنعة بتفوق ثقافتها الاسلامية ولكن هاجسها الوحيد ضالة قوتها ومتى ما تمكنت من تجاوز تلك الضالة فانها ستشكل اكبر الاخطار على الحضارة الغربية .

المشكلة الاساسية بالنسبة للاسلام هي ((ان المجتمعات الاسلامية مؤسسة على قيم غير تلك التي لدى الغرب))^{٥١}.

وكما يعتقد صمويل هنتنغتون المشكلة ليست الولايات المتحدة وقوتها العسكرية ولكنها الغرب والولايات المتحدة على حد سواء ، بما يمثلها من حضارة مختلفة مع افتناعهم بعالمية ثقافتهم المتماهية مع قوتهم المتفوقة التي تفرض عليهم التزاماً بنشر تلك الثقافة عالمياً متجاهلين تمسك الآخر بنوعية ثقافته وعالميتها ايضاً وهذه هي الجدلية التي تغذي الصراع بين الاسلام والغرب^{٥٢} . ولغرض الوقوف على الاسس العامة لفكرة صراع الحضارات لابد من الاشارة بشيء من التفصيل الى الاسس الفكرية المعتمدة لتلك النظرية .

المطلب الاول - الاساس الفكري لمبدأ صراع الحضارات .

لم يكن مبدأ صراعات الحضارات حديثاً كما يشاع في الادبيات السياسية اليوم او مقترناً بمفكر غربي واحد دون سواه كما يعبر في الكثير من الكتابات المعاصرة عن تماهي هذا المبدأ مع ما اورده صمويل هنتنغتون ومن قبله برنارد لويس من افكار ، وانما هو قديم قدم الحضارات نفسها . ففكرة الصراع الاجتماعي هي التي اهدت الى علم الاجتماع وعلم السياسة قواعدهما المستنيرة في العقد الاجتماعي لدى هوبز ولوك ومونتسكيو^{٥٣} .

لكن الجديد في مبدأ الصراع الحالي هو الانتقال بهذه الفكرة من التوظيف العلمي الوظيفي الرامي الى التوظيف السياسي الهابط، الذي يراد به ادامة التهديد وقبول فكرة سرمدية الصراع بين المجتمعات والحضارات الانسانية، فعلى حد قول هنري كيسنجر ان ما تحتاج اليه الولايات المتحدة الامريكية هو تهديد واضح معروف وايدولوجية معادية وان قضى انتهاء الحرب الباردة بزوال الخطر السوفيتي فان المهمة الان تتطلب احياء التهديد او اعادة خلقه بالقوة نفسها^{٥٤} كما سبق كيسنجر بالاشارة الى الخطر الاسلامي المفكر الغربي برنارد لويس الذي استنتج في مقال له (ان الغرب يواجه حالة وحركة تتخطى بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تتابعها وهذا ليس اقل من صدام حضارات والذي ربما كان غير منطقي ولكنه بالتأكيد رد فعل تاريخي لتنافس قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي وحاضرنا العلماني وانتشار كل منهما على مستوى العالم، ومن المهم جدا اننا من جانبنا لا يجب ان نستثار الى رد فعل تاريخي ولا منطقي معادل ضد

^{٥١} من كلام للشيخ الغنوشي نقلا عن صمويل هنتنغتون المصدر نفسه ص ٣٤٦ .

^{٥٢} صمويل هنتنغتون - المصدر نفسه ص ٣٥٢

^{٥٣} د- احسان محمد الحسن - علم الاجتماع السياسي دار وائل للنشر الطبعة الثانية ٢٠٠٨ الاردن عمان ص ٤٠-٤٨

^{٥٤} نقلاً عن د. ناظم عبد الواحد الجاسور - المرجعية الفكرية للخطاب السياسي الامريكي مصدر سبق ذكره ص ٤٠

ذلك المنافس)°.°°. وأياً كانت الاختلافات بين المفكرين الا انها اعطت جميعاً للصراع الاسلامي الغربي بعده الحضاري الذي لا يتردد ايّ منهم في القول بحتميته، تلك الحتمية التي تتماهى تماماً مع ما اتى به كارل ماركس في نظريته الصراعية التي توقفت عند الحدود النظرية ولم تفلح تجارب العالم الشيوعي التي امتدت لأكثر من سبعين عاما ان تحقق ولو جزءاً يسيراً من النتائج النظرية المبهرة لتلك النظرية .

تتوزع نظرية هنتنغتون على محاور تكاد تقترب من المسلمات او البديهيات من وجهة نظره فهو

يرى

١. ان الصراع بين الحضارات ياخذ شكلين:الاول- الصراع المحلي او الصغير اذ تحدث صراعات بين حدود التقسيم في دول الجوار المنتمية الى حضارات مختلفة وبين جماعات اخرى تنتمي الى حضارات مختلفة داخل دولة ما، كذلك فانها تحدث بين جماعات تحاول اقامة دول جديدة على انقاض الدول القديمة كما حدث في الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا السابقين صراعات خطوط التقسيم متشعبة خاصة بين المسلمين وغير المسلمين°.°٦ . كما وتبقى حدود الاسلام دموية مثلما هي الاحشاء°.°٧ .

٢. طالما ان الاسلام يظل كما هو وامكانية بقاء الغرب كما هو غير مؤكده ، فان الصراع الاساسي بين الحضارتين الكبيرتين واساليب كل منهما في الحياة سوف يستمر في تحديد علاقتهما بالمستقبل كما تم تحديدها على مدى الاربعة عشر قرناً السابقة، هذه العلاقات يزيد من تعكيرها عدد من القضايا الرئيسية من اهمها°.°٨ .

أ. ان الغرب شارك في زرع اسرائيل في قلب العالم الاسلامي مما اوجد مسوغاً اسلامياً للصراع معه.

ب. العداء الاسلامي المتزايد للغرب يمكن مقارنته بالقلق الغربي المتزايد من الخطر الاسلامي وان الاسلام يمكن عده كمنافس كوني للغرب°.°٩ .

ج. ثم ينطلق من فرضية ان المصدر الجوهري للصراعات في العالم لن يكون بالدرجة الاساس صراعا ايدولوجياً كما كان حاصلًا بين الغرب والاتحاد السوفيتي او اقتصادياً كالصراع على مناطق الثروات الاساسية في العالم بل هو ثقافيّ وتحديداً دينيّ حضاريّ°.°١٠ . وكأنه ينزع الى القول بان بقاء التنوع الديني كفيلاً بحصول الصراع الدولي

°° نقلًا عن صامويل هنتنغتون -صدام الحضارات -عادة صنع النظام العالمي -مصدر سبق ذكره ص ٣٤٤ .

°٦ صامويل هنتنغتون - المصدر نفسه ص ٣٣٦ .

°٧ المصدر نفسه ص ٤١٨ .

°٨ المصدر نفسه ص ٣٤٣ .

°٩ المصدر نفسه ص ٣٤٨ .

°١٠ د. ناظم عبد الواحد الجاسور المصدر السابق ذكره ص ٣٦ .

وان الضرورة تقتضي اذا ما اريد التخلص من الصراع ان نتخلص من التنوع الديني قبل ذلك .

وان الصراعات الرئيسية ستحدث بين الدول والمجتمعات المنتمية لحضارات مختلفة وستكون خطوط الصراع التي اسماها خطوط الصدع او التشقق هي خطوط معارك المستقبل. وهو يفترض كذلك ان الصراعات القادمة ستكون بين الحضارة الغربية والمسيحية ذاتها، وان اهم صراعات المستقبل هي تلك التي تحصل في خطوط الصدع بين الحضارات وخاصة مع الحضارتين الكونفوشيوسية والاسلامية ، لا سيما اذ استمر التدخل الغربي في شؤون تلك الحضارات ويمكن ان يكون المصدر الوحيد والاشد خطراً بالنسبة لعدم الاستقرار والصراع الكوني المحتمل في عالم متعدد الحضارات^{٦١}.

ثم ينطلق من فرضية اخرى مفادها ان العلاقات بين الاسلام والمسيحية كانت عاصفة غالباً فكلاهما كان نداءً للآخر وكان الصراع بينهما مستمراً وعميقاً وسرمدياً. محركات الصراع عبر كثير من القرون هي التنافس وكانت خطوط العقيدتين تصعد وتهبط ، بفعل موجات الاكتساح العربي الاسلامي في اتجاه الخارج منذ بداية القرن السابع الى منتصف القرن الثامن الذي اقام حكماً اسلامياً في شبه جزيرة ايبيريا وشمال افريقيا وفارس وشمال الهند. فالاسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك دائم^{٦٢}. ثم يتطرق الى القول ان ضعف الدولة القومية وانتفاء الدول الايديولوجية كمصدر للهوية يدفع بالدين الى الصدارة كهوية ذاتية عابرة للحدود السياسية والايديولوجية وعاملة على توحيد الحضارة ، خيار الاسلام بدلاً من القومية شهادة بقيمة الاسلام كأيديولوجية سياسية عابرة للحدود الجغرافية. لذلك لا لبيانات وزارة الدفاع الامريكية ان الولايات المتحدة شاركت غرابة وطبقاً في ١٧ عملية عسكرية في الشرق الاوسط كانت كلها موجهة ضد المسلمين ولم تحدث اي عملية من هذا النمط ضد اي شعب من حضارة اخرى^{٦٣}. هذا الاعتقاد المعبر عن خطورة الديانات والثقافات غير الغربية وخاصة الديانة الاسلامية هو الذي حدا بالولايات المتحدة ان تشارك وتقود طبقاً لبيانات وزارة الدفاع ١٧ عملية عسكرية في الشرق الاوسط كانت كلها موجهة ضد المسلمين ولم تحدث اي عملية من هذا النمط ضد اي شعب من حضارة اخرى هذا السلوك العدائي الدموي الغربي هو الذي أخذ ويأخذ حيزاً واسعاً في توجهات الدول الاسلامية ازاء المنظومة الغربية برمتها وهو الذي اوقع السياسات الامريكية تحديداً في اخطاء فادحة يصعب تجاوزها في المدى المنظور^{٦٤}. ولقد اثبتت التجربة القصيرة لتعامل الولايات المتحدة مع العالم الاسلامي عن قلة تبصر الاخيرة وقصر نظرها ، ففي العالم العربي وفي معظم الدول الاسلامية تتشكل التصورات حول الولايات المتحدة ليس من خلال نظريات

^{٦١} المصدر نفسه ص ٣٣٨.

^{٦٢} المصدر نفسه ص ٤٠٣.

^{٦٣} المصدر نفسه ص ٣٥١.

^{٦٤} ادوارد ب ود -جيريجيان -مصدر سبق ذكره ص ٣٠١.

فائدة للصواب كنظرية هنتجتون او سواه بل من ثلاثة عناوين واقعية رئيسة الاول:- هو الدور الامريكى الداعم لاسرائيل منذ نشأتها ولحد الان وهذا الدور المتميز بالانحياز الواضح لا يجد له تفسيراً الا من زاوية الاستخفاف بالثوابت الدينية والتاريخية للامتين العربية والاسلامية لا سيما وان اسرائيل لن تكف عن البوح بان كيانه اليهودي ودولتها العبرية قائمان على العنصرية الدينية المرتكزة على انكار حقوق الاخرين ومقدساتهم الدينية وهو تعبير واضح عن وقاحة المشروع الصهيوني .

الثاني -دعم النظم الاستبدادية في المنطقة التي لا تقيم وزناً للمشاركة السياسية رغم ان الشاعر الذي تحدث عنه هو توسيع واشاعة نظم الحكم الديمقراطية ،وعندما تحقق الديمقراطية رغبة الاغلبية فان الولايات المتحدة تقف بالصد منها والوقوف بالصد من فوز الحركة الاسلامية حماس (٢٠٠٦م) تكريساً لمبدأ الانتقائية الديمقراطية التي تخدم المصالح الامريكية الثالث -عدم التفوق بين القول والفعل فيما يتعلق بقبول الاسلام كديانة عظيمة اتسمت برسالة التسامح والاعتراف بالديانات الاخرى كاليهودية والمسيحية والديانات الكتابية على اختلافها ،وان عد الاسلام تهديداً للحضارات الاخرى نام عن عدم احترام لا للمسلمين ولا لمقدساتهم العقيدية، مما يزيد من كراهية المسلمين للغرب والولايات المتحدة على حد سواء، فعندما يقول بات روبرتسون لقد كان ادولف هتلر انساناً سيئاً لكن الاسوء منه هم المسلمون في تعاملهم مع اليهود^{٦٥} .وعندما يشير الاب جيرى فالويل في كلامه عن النبي محمد (ص) انه (ارهابي)^{٦٦} .وعندما يقول الاب فرانكلين غراهام عن الاسلام انه دين شرير مثلما يقول ان المسيحية والاسلام يختلفان اختلاف النور عن الظلام^{٦٧} فهم يعبرون عن اتجاه سائد في معظم الدول المسيحية وان السمة المميزة في الغرب هي عدم التمييز بين الاسلام كديانة وبين الحركات الاسلامية او المسلمين الذين يعاونون الولايات المتحدة والغرب ويرفعون السلاح من اجل الاضرار بمصالحهما ،متكئين ليس على الاخطاء الفادحة التي تعاملت بها الولايات المتحدة والغرب في الكثير من قضايا المنطقة ومنها قضية احتلال البلدان الاسلامية بذرائع شتى كالحرب الاستباقية او سواها من المفاهيم الطارئة على الاعراف الدولية. وانما على ذات الحجج الهنتجتونية التي سقناها في السطور السابقة .وتصبح النتيجة لكل ما تقدم ان الولايات المتحدة ستدبر حرباً عالمية ليس على من تسميه ((الارهاب)) بل على الحضارات الاخرى المختلفة عنها، وعلى قاعدة من ليس معنا فهو ضدنا وهو امر لا نعتقد ان الولايات المتحدة او سواها من الدول الكبرى او العظمى تستطيع ان تنوء بحمله ولذا فهي مضطرة اما عن العزوف عن تلك التوجهات الخطيرة في العلاقات الدولية او ان تعيد النظر في تلك العلاقات وعلى قواعد جديدة قائمة على السلام والتآخي والمصالح المشتركة وهو ما نعتقد ان الادارة الجديدة عازمة على القيام به.

المطلب الثاني -جدل الصراع والحوار وتراجع الصراع لحساب الحوار والتحالف العالمي

⁶⁵ dana millbank conservatives dispute bushs portrayal of islam as peasfull Washingtonpost-30november2002 p4.

⁶⁶ ibid-p4

⁶⁷ mark oke efe plans under way for Christianizing the enemy .newhouse.com 26-may 2003

كان صعود نظرية صراع الحضارات اشبه بالاطروحة الاساسية في سياق السعي لتخطيط حضاري عالمي جديد^{٦٨}.

وعلى عكس كل الطروحات التي كانت سائدة في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي التي كانت تشير الى ضرورة ان تتعلم الحضارات بعضها من البعض الاخر وكيف تعيش جنباً الى جنب في علاقات سلمية متبادلة كي تثري حياة كل منها الأخرى^{٦٩}.

تأتي اطروحة هنتنغتون كي تكرر ولو مفاهيمياً انتهاء اطروحة الحوار والتحالف الحضاري وتعيد التأكيد على ان صدام الحضارات هو التهديد الاكبر للسلام العالمي وان الضمان الاكيد للانتصار الغربي على هذا التهديد يقوم على ركيزتين.

الاولى:- ان من الواجب الحفاظ على الحضارة الغربية ويجب ان تقوم الولايات المتحدة والدول الاوروبية بالآتي^{٧٠}:

١. ان تحقق تكاملاً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً اكبر وتنسق بين سياساتها حتى تحول دون استغلال دول الحضارات الاخرى للاختلافات القائمة بينها .
٢. تدمج دول اوربا الوسطى واوربا الغربية في الاتحاد الاوربي والنااتو وهي دول الفيزيجارد وجمهوريات البلطيق وسلوفينيا وكروتيا.
٣. تشجع تغريب امريكا اللاتينية وانحيازها الى الغرب بقدر المستطاع .
٤. تكبح القوة العسكرية التقليدية وغير التقليدية للدول الاسلامية والصين وتبطنى من عملية ابتعاد اليابان عن الغرب وتوجهها نحو التكامل مع الصين .
٥. تقبل ان تكون روسيا مركزاً للارثوذكسية وقوة اقليمية رئيسة ذات مصالح مشروعة في امن حدودها الجنوبية .
٦. تحافظ على تفوقها التكنولوجي على الحضارات الاخرى

اما الركيزة الثانية- فهي ان المبادئ السياسية اساس غير مكين لبناء مجتمع يدوم وفي عالم متعدد الحضارات للثقافة فيه اهمية كبيرة ، ستكون الولايات المتحدة ببساطة هي آخر البقايا الشاذة لعالم غربي آفل كانت للايديولوجية فيه اهمية كبيرة وهو ينتهي الى فرضية ان رفض قانون الحضارة الغربية يعني نهاية الولايات المتحدة التي نعرفها ويعني كذلك بالفعل نهاية الحضارة الغربية^{٧١}. وهو يحذر الولايات المتحدة

^{٦٨} السيد ياسين - الحضارات بين الحوار والصراع والتحالف - جريدة الاصلاح - العراق - بغداد العدد ٣٩٦ الصادر في ١٧ آيار ٢٠١٠م.

^{٦٩} صمويل هنتنغتون - صدام الحضارات - مصدر سبق ذكره - ٥٢٠.

^{٧٠} المصدر نفسه ص ٥٠٤.

^{٧١} صمويل هنتنغتون - صدام الحضارات - مصدر سبق ذكره - ص ٤٩٦.

من انها لو تخلت من اثر الغرب فان الغرب سيتم اختزاله الى اوربا وقليل من دول الاستيطان الاوربي الصغيرة في ما وراء البحار ،وبدون الولايات المتحدة يصبح الغرب جزءاً صغيراً جداً ومنهراً^{٧٢}.

ومعنى ذلك ان الحضارة الغربية في خطر لانها ستتدخل مع الحضارتين الاسلامية والكونفوشوسية في صراع وستكون الغلبة في النهاية للاسلام وللكونفوشوسية ،وحول هذه الطروحات الخطيرة دار جدل علمي واسع وانتقد عدد من المفكرين في الغرب والشرق على السواء مسلماتها وفندوا تنبؤاتها، بل واتهم صاحب النظرية بالعنصرية لانه ينظر في الواقع نظرة دونية للحضارات الاخرى غير الغربية .

كانت اولى الطروحات العلمية في مواجهة اطروحة هنتنغتون هي قبل ما يقارب من عقدين من الزمان والعالم ما زال في ذلك الوقت يتعامل بواقع ثنائي القطبية إلى حد ما،حين خرج المفكر الفرنسي روجيه جارودي على العالم أجمع بنظريته الرائدة ومشروعه للجمع بين الحضارات المختلفة على أساس أرضية مشتركة للتفاهم على مستوى شعوب الأرض وسماها بـ ' حوار الحضارات ' لكن مشروعه كان يتسم بسمة أساسية ألا وهي النقد الشديد للهيمنة الغربية والسيطرة الأمريكية حتى أنه بشر من خلال نظريته بزوال الغرب عموماً، لكن هذه الصيحة وأخواتها من جانب جارودي أو غيره من المفكرين والساسة الذين سعوا إلى وضع نظرية أو قاعدة تحكم وتفسر واقع المجتمع العالمي لم تجد الصدى اللائق بها في ذلك الوقت لواقع الصراع القائم والمسمى بالحرب الباردة بين قطبي العالم آنذاك ومع انهيار الاتحاد السوفييتي وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم بدأت نظريات أخرى بالصعود إلى السطح والظهور لتفسير كيفية تعامل القطب الأحادي مع العالم في ضوء الواقع الجديد^{٧٣}.

ومن هذه النظريات اطروحة الرئيس الايراني السابق محمد خاتمي التي اعلنها في خطابه امام الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر/أيلول ١٩٩٧ ، حيث رأى أن فكرة حوار الثقافات محاولة من أجل التفاهم بغية دحض التصادم. والتي دعى فيها لتحويل حوار الحضارات من مجرد فكرة يتداولها الفلاسفة والمؤرخون والعلماء الاجتماعيون الى سياسة ثقافية عالمية تتبناها الامم المتحدة ومما لا شك فيه ان هذه المبادرة جاءت متناسبة على الصعيد الدولي لانها قطعت الطريق عن الموجة العنصرية الغربية الجديدة^{٧٤}.

لاقت اطروحة خاتمي عن حوار الحضارات قبولاً واسع الانتشار بحيث تمت الموافقة على المبادرة بالاجماع ،وصدر قرار للامم المتحدة لا سابقة له، ففي الدورة الخامسة والخمسين للجمعية العامة للأمم المتحدة صدر القرار رقم (٥٣/٢٣/A/RES) المؤرخ في ١١ يناير ٢٠٠١، حول (سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات)^{٧٥}، حيث تنشط الدول والمنديات الثقافية الرسمية والاهلية لعقد مؤتمرات لمناقشة الموضوع وفي هذا السياق دعت هيئة اليونسكو الى مؤتمر دولي انعقد في فيلنوس عاصمة ليتوانيا في المدة

^{٧٢} المصدر نفسه ص٤٩٦.

^{٧٣} للتفاصيل انظر - <http://faculty.ksu.edu.sa/shunyber/Pages/7eoar>.

^{٧٤} انظر نص المبادرة على الموقع www.themwl.org/subjects/default.aspx?d

^{٧٥} المصدر نفسه - www.themwl.org/subjects/default.aspx?d

من ٢٣ إلى ٢٧ أبريل ٢٠٠١م^{٧٦}. وتطور الابداع الفكري في مجال التخطيط الحضاري العالمي الذي شاركت فيه دول شتى ومفكرون من كافة الدول لكي ينتقل العالم من اطروحة صراع الحضارات الى الاطروحة المضادة وهي حوار الحضارات لكي يستقر اخيراً على الاطروحة الثالثة التي هي التركيب بين الاطروحة الاولى والثانية لتصل الى نظرية تحالف الحضارات، لقد قامت مبادرة حوار الحضارات في سياق تاريخي يسوده الشك والريبة ففي خضم الحوار تم توجيه ضربة في ١١/٩/٢٠٠١ الى البرجين الامريكيين مما ادى الى تراجع مفهوم الحوار لصالح التأكيد على (صوابية) فكرة الصراع وكان عنوان الحملة على افغانستان هو بداية لحرب صليبية ضد المسلمين مثلما سماها الرئيس الامريكي السابق (الآن بدأت الحرب الصليبية) التي لم تنته بكابول بل امتدت في ٩-٤-٢٠٠٣ م الى بغداد تأكيداً على ان الولايات المتحدة تخوض حرباً على الاسلام وليس على الارهاب على وفق نظرية الصراع الفاقدة للصواب، لكن الجهود الدولية لم تتوقف عند لحظة تاريخية بعينها وانما استمرت لاطلاق الحملة الدولية الثالثة التي بدأها ثاباتيرو رئيس وزراء اسبانيا ورجب طيب اوردوغان رئيس وزراء تركيا وذلك في الاجتماع التاسع والخمسين للجمعية العامة للامم المتحدة عام ٢٠٠٥ وسعت المبادرة الى تفعيل الجهود الدولية لمواجهة التطرف وذلك بتنظيم حوارات ثقافية عالمية وكذلك حوارات بين الاديان والهدف الرئيس للمبادرة هو اذابة التوترات بين العالم الغربي والعالم الاسلامي اثر احداث ايلول الدامية^{٧٧}. ومعنى ذلك ان التخطيط الحضاري العالمي تتمثل مسيرته في ثلاث لحظات تاريخية فارقة هي الصراع والحوار والتحالف. من هنا يمكن القول ان مبادرة حوار الحضارات قد حلت بديلاً واقعياً للدعوة في اطار التخطيط الحضاري العالمي لقيم انسانية جديدة ابرزها الوسائل الديبلوماسية لحل الصراعات الدولية ونبذ اساليب الحلول الاخرى المبنية على قاعدة الصراع ومن ثم فان الادارة الامريكية الجديدة قد آثرت اللجوء الى الحلول السياسية بعد ان ادركت خطورة المنزلاقات التي ارستها اطروحة الصراع وادركت كذلك فوائد الحوار والتحالف الدولي بوجه الازمات التي تواجه العالم. ففي ١٣-٥-٢٠١٠ حل الإمام أحمد سالم ولد الشيخ جعفر بالولايات المتحدة ضيفاً بدعوة من وزارة الخارجية الأمريكية لمناقشة مسألة التسامح في إطار حوار أشمل بين الأديان. وفي ١٣ شباط فبراير شاركت هيلاري كلينتون في منتدى النوحة لحوار الاديان لتؤكد ان الولايات المتحدة بحدوها الامل بعالم متسامح وليس عالم صراع^{٧٨}. وكل ذلك يمثل دالة من دلالات التحول الاستراتيجي الامريكي الشرق اوسطي.

المطلب الثالث -انتفاء جدلية الترابط بين الارهاب والاسلام في توجهات الادارة الجديدة.

^{٧٦} السيد ياسين - مصدر سبق ذكره.

^{٧٧} المغاربية - امام موريتاني مرموق يزور الولايات المتحدة في سياق الحوار بين الاديان -١٣-٥-٢٠١٠

^{٧٨} انظر تفاصيل الزيارة على الرابط...www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid...

رغم ان الارهاب لم تكن له نظرية عامة او سيكولوجيا عامة او حتى سببية عامة وانه ارتبط تاريخيا وللمرة الاولى بطائفة الاحامس^(٩) في عام ٦٦-٧٣ ميلادية^{٧٩} مروراً بالثورة الفرنسية وتحديدأ في العام ١٧٩٤ للإشارة الى استخدام الحكومات للارهاب ضد سكانها وبهذا المعنى ايضاً استخدمه ليون تروتسكي حين كان مفوض الحرب في الحكومة البلشفية بعد عام ١٩١٧ لتبرير استخدام العنف السياسي ضد اعداء الدولة^{٨٠}. الا ان الادارة الامريكية السابقة كانت قد ربطت ربطاً جدلياً بين الاسلام والارهاب مثلما ورد في وثيقة الامن القومي الامريكي لعام ٢٠٠٦ ((يشكل الصراع ضد الراديكالية الإسلامية المستخدمة للعنف النزاع الإيديولوجي العظيم في أوائل القرن الحادي والعشرين،))^{٨١}. وكانت تلك الرؤية قد استمدت مقوماتها من اساسين :-

الاول- ما يسند من اعمال ارهابية تستهدف المواطنين العزل مثلما تستهدف المصالح الامريكية في شتى انحاء العالم وغالباً ما تقوم الجماعات الاسلامية المتطرفة وخاصة تنظيم القاعدة بذلك. ونظراً لكون التنظيم يسند افعاله القتالية الى مفهوم الجهاد فقد عُدت حدود الاسلام دموية بوصف هنتغتون او سواه من المرجعيات الفكرية التي ساهمت في صياغة الخطاب الاستراتيجي الامريكي دون ان يقدموا تفسيراً واضحاً وصائباً لمن يتحمل المسؤولية عن هذه الدموية، هل الاسلام كديانة ام البعض من المسلمين الذين ينسبون اعمالهم الى الاسلام شأنهم في ذلك شأن آخرين من متطرفي الديانات الاخرى؟^{٨٢}.

صحيح ان في بعض الحالات تقع المسؤولية فيها على عاتق مسلمين متطرفين ولكن في بعضها الاخر ليس كذلك فهي في البوسنة وكوسوفو وفلسطين وكشمير لا تقع على عاتق المسلمين بل على سواهم من اصحاب الديانات الاخرى، وعلى وفق هذه الجدلية لا بد من الاقرار اما بفكرة دموية الديانات جميعاً او بخطأ النظرة الى الاسلام بوصفه ديناً ارهابياً.

اما الاساس الثاني- فهو ما ينسحب عن المقوم السابق في الاتكاء على ورود آيات في القران الكريم تشير الى الارهاب بوصفه عملاً من اعمال العنف والآيات التي ورد فيها الارهاب هي ثمان كلها كانت تحث المسلمين على الخشية من الله في ما يقومون به من اعمال باستثناء الآية الكريمة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الى آخر الآية الكريمة)^{٨٣} التي عننت الاستعداد للحرب كجزء من التعبئة المجتمعية لدرء الاخطار ورغم كل ذلك غالباً ما تبقى معاني الكلمات متغيرة كما هي دلالاتها التفسيرية .

^(٩) الاحامس -طائفة يهودية ظهرت في القرن الاول الميلادي وحاربت حكم الروم في فلسطين -نقلأ عن عمر الايوبي في كتاب التفرد الامريكي - مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٤.

^{٧٩} grant wardlaw .political terrorism(cambridq university press 1989.p.18.

^{٨٠} فريد هاليداي -الامة والدين في الشرق الاوسط-ترجمة عبد الاله النعيمي -دار الساقي ط ١ -٢٠٠٠ ص ٧٦.

^{٨١} للتفاصيل انظر نص الوثيقة المنشور على الرابط

<http://www.annabaa.org/nbanews/55/165.htm>

^{٨٢} فريد هاليداي -المصدر نفسه ص ٨٣.

^{٨٣} سورة الانفال الآية السادسة عشر .

ان تطور ربط الاسلام بالارهاب تستدعي مناقشة محورين اساسيين الاول - هوان العنف الذي تمارسه الجماعات الانسانية ليس خاصاً بالجماعات الاسلامية فالمسيحيون واليهود والبوذيون كلهم يستحضرون الدين لدى استخدامهم العنف المسلح فالحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في ايرلندا استخدمت الدين لتبرير جرائمها الانسانية ، وفي اسرائيل دعت جماعات يهودية الى ممارسة العنف من جانب الدولة الاسرائيلية وزعم باروخ غولدشتاين بقتله ٢٩ فلسطينياً في الخليل عام ١٩٩٤ انه يؤدي عمل الله^{٨٤}.
 اما المحور الثاني - فمن العبث البحث في نصوص اي دين لتفسير العنف، ذلك ان النصوص الدينية قابلة للقراءة باتجاهين الاول النزعة المسالمة مثلما هي كذلك في نزعة العنف وفي مماهات الاسلام بالارهاب هناك اساءة استخدام لمصطلح الارهاب من اجل اغراض سياسية سجالية، من جهة ولنزع الشرعية عن اعمال جماعات سياسية سواء في فلسطين او سواها، ولقصر النقاش عن الارهاب على الدول الاسلامية وحدها، وقد شهد الشرق الاوسط اعمالاً ارهابية مارستها دول عظمى كالولايات المتحدة ضد السودان والصومال وليبيا والعراق وصغرى كاسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والجنوب اللبناني.

تبقى النتيجة النهائية هي انه من المؤكد ان مصطلح الارهاب قد اوجد له معاني مختلفة ولكن من المهم في اي تقويم ان لا يغيب عن الانظار مستويين من الارهاب:- الاول هو الارهاب الفوقي بمعنى الارهاب الذي تمارسه الدول سواء على رعاياها او على رعايا دول اخرى كما اوضحنا ، اما الثاني فهو الارهاب التحتي الذي ياتي كرد فعل على الارهاب الفوقي ومن ثم فان عملية الفرز بين النوعين تتطلب معايير نوعية وموضوعية وليس قراءات فكرية تفتقد الصواب^{٨٥}.

ان الولايات المتحدة كانت السبابة الى ممارسة ارهاب الدولة وبوصف المؤرخ ارنو ماير في اعقاب احداث ١١ ايلول مباشرة ان الولايات المتحدة ومنذ عام ١٩٤٧ كانت هي المرتكب الاكبر لارهاب الدولة الاستباقي وعدد لا يحصى من الاعمال المارقة الاخرى موقعة ضرراً جسيماً ودائماً باسم الديمقراطية والحرية والعدالة^{٨٦}.

لقد ادرك المجتمع الدولي ان حجم الارهاب الذي مارسته الولايات المتحدة واسرائيل على شعوب العالم الاسلامي قد وصل الى مستوى خطير وخاصة الجرائم التي ارتكبت في العراق وافغانستان كما في فلسطين ولبنان مما استدعى حصول عمليات عنف مقابل في اغلب بلدان العالم وخاصة تلك المتعانة مع الولايات المتحدة، ومن ثم فقد تطلب ذلك مراجعة موضوعية لتلافي شيوع ظاهرة عدم الاستقرار الدولي واعادة النظر في مجمل الدوافع التي تقف وراء تصاعد حدة التناقض بين الولايات المتحدة والغرب من جانب وبين العالم الاسلامي من جانب آخر الامر الذي ادركت مخاطره الادارة الامريكية الجديدة في ظل العجز الحقيقي

^{٨٤} الفريد هاليداي -مصدر سبق ذكره ص٨٢.

^{٨٥} المصدر نفسه ص٨٨.

^{٨٦} نعوم تشومسكي -الدول الفاشلة -اساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية ترجمة سامي الكعكي -دار الكتاب العربي -بيروت -لبنان - ٢٠٠٧ ص١٣٦.

وعدم القدرة في الحفاظ على امن وطني امريكي راسخ وحقيقي، فبادرت الى وضع اطاراً استراتيجي للتعامل مع الارهاب بوصفه ظاهرة عالمية لا يمكن ان تتعلق بديانة نون سواها وقد بان ذلك بشكل جلي في ما اتت به وثيقة إستراتيجية الأمن القومي لعام ٢٠١٠، بوصفها أحدث بصمة يضعها الرئيس أوباما على سياسته الخارجية، وللد من المواقف المتطرفة التي كانت تصر عليها الادارة الامريكية السابقة.

ففي ٢٧ مايو/أيار ٢٠١٠، تم إعلان وثيقة الأمن القومي الأميركي الجديدة (National Security Strategy) ،وقد جاءت رداً على فشل إدارة بوش في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية وغرقها في حروب أفغانستان والعراق، وبعد الأزمة المالية العالمية، وهي بهذا المعنى تعد محاولة للخروج من الازمات التي خلفتها إدارة المحافظين الجدد^{٨٧}.

وقد اثارت الوثيقة جدلاً واسعاً في الوسط السياسي الأميركي بين من يرى انها مجرد حملة علاقات عامة تعكس سذاجة رؤية أوباما وتوجهه الذي يؤدي إلى تفهقر قوة أميركا وتراجع مركزها العالمي، وبين آخرين يرون أنها تعطي الانطباع الإيجابي المطلوب لكونها تغييراً دراماتيكياً عما طرحته إدارة بوش وتخدم مصالح أميركا وهي إيذاناً بنهاية عصوروبداية عصر آخر ،ملامحه الاساسية اقامة علاقات جديدة مع العالم الإسلام على غرار ما ابتداء بطرحه في خطاب التنصيب .

لمح التغيير الاول حذف الرئيس الامريكي باراك اوباما مصطلحات "الجهاد" و"التطرف" من وثيقةالأمن القومي الأميركي الجديدة في خطوة تعد أهم تغيير في عقيدة الأمن القومي الأميركي، التي تمت إعادة صياغتها على ضوء المعطيات على الساحتين السياسية والامنية، ولغرض التأكيد على أن الولايات المتحدة لا تنظر إلى الدول الإسلامية من منظور الإرهاب.

و يُعدُّ هذا أهم تحول في إستراتيجية الأمن القومي الأميركي الجديدة، عن "عقيدة الحرب الاستباقية الوقائية" للادارة السابقة^{٨٨}. التي أسست كل علاقتها مع العالم الإسلامي على أساس محاربة الإرهاب وكسب حرب الأفكار .

إن مراجعة إستراتيجية الأمن القومي، تُعدُّ جزءاً من جهود أكبر تحدث عنها البيت الأبيض، تسعى ليس فقط إلى تغيير الطريقة التي تتحدث بها الولايات المتحدة إلى العالم الإسلامي، لكن الى تغييرالموضوعات التي يجب أن يركز عليها الجانبان، من الرعاية الصحية والعلوم إلى التعليم والمشروعات المشتركة، أو إن هذا التغيير في التوجه نحو العالم الإسلامي كان يتم التحضير له خلال عام كامل منذ وعد أوباما في خطاب القاهرة، بـ " بداية جديدة" في علاقة الولايات المتحدة مع العالم الاسلامي^{٨٩}.

^{٨٧} للاطلاع على بعض مفردات الوثيقة انظر :-

<http://www.maktoobblog.com/redirectLink.php?link=http%3A%2F%2Fwww.aljazeera.net>

^{٨٨} للتفاصيل انظر نص الوثيقة المنشور على الرابط

<http://www.annabaa.org/nbanews/55/165.htm>

^{٨٩} انظر تفاصيل الخطاب في جامعة القاهرة المنشور على الرابط :-

<http://www.youtube.com/watch?v=zhwVZAhURWA>

الخاتمة والاستنتاجات

من المآثر المهمة التي تركها عالم الطبيعيات المعروف تشارلز داروين في كتابه اصل الانواع القول ان (ليس الاقوى من كل نوع هو الذي يبقى ولا الاذكى، بل هو الاكثر تاقلماً مع التغيير). هذه المأثرة تتماهى مع ما ذهبت اليه امريكا في الاعتماد على سياسة القوة حين وضعت نفسها بين الحرب على الارهاب (الحرب الاستباقية) وبين متطلبات القواعد القانونية الدولية في ادارة العلاقات الدولية وجعلت من الحرب على الارهاب حرباً عالمية رابعة، الا انها لم تنجح مطلقاً لا في التكيف مع متطلبات التغيير في البيئة الدولية التي انتجت الارهاب، ولا في ايجاد حل لاي من التهديدات الكبرى التي تواجهها .

وهو ما يؤكد ايضاً صحة ما ذهب اليه نابليون بونابرت بعد ان عجزت قواته عن تحقيق نصر نهائي في اوربا بالقول (انني اعجب اشد العجب عن عجز القوة في الاتيان بنصر حاسم). وماذهب اليه ايضاً مستشار الامن القومي ووزير الخارجية الامريكية الاسبق هنري كيسنجر بالتاكيد على (ان القوة قد تقهر العالم لكنها لا تضيء الشرعية على نفسها).

لذا كان انتهاج الادارة الامريكية الجديدة لاستراتيجية بديلة اكثر توازناً في المناطق الاستراتيجية الكبرى امراً ملحاً وضرورياً وصحيحاً لمعالجة فشل التمرد الجيوسياسي الذي احداثته سياسة الادارة الامريكية السابقة في اغلب مناطق العالم، ولكنه لحد الآن انتهاجٌ خجولٌ ومترددٌ كما انه ليس حاسماً مثلما تتطلبه المرحلة .

التمرد الجيوسياسي يبدو واضحاً في الكثير من مناطق العالم المختلفة، فاذا كان الشرق الاوسط يمكن استيعابه عسكرياً وهو الافتراض الذي اثبت عقمه في تجربتي افغانستان والعراق فان دولاً اسلامية اخرى لا يمكن استيعابها عسكرياً بشكل مطلق، كما ان دول الاتحاد الاوربي لا تستطيع بث الاستقرار في جزئها الغربي لانها شاطرت الولايات المتحدة مظالمها الشرق اوسطية وطموحاتها اللاشعرعية في بعض مناطق العالم المختلفة، كذلك فان امريكا الجنوبية الكارهة لسياسية الولايات المتحدة تشاطر الدول العربية والشرق اوسطية رفضها الهيمنة الامريكية .

وفي ظل تلك الظروف الدولية كان تحرك الولايات المتحدة في كثير من الاحيان بمفردها امراً لا يليق بتاريخها السياسي والاخلاقي كما انه لا يستطيع تحقيق طموحاتها الدولية، ولن يصلح الامر ما تدعيه من تحويل بعض دول الشرق الاوسط الى دول ديمقراطية دون الموارد اللازمة لذلك .

فالمغامرة الفاشلة في العراق التي كلفت اكثر من ثلاثة ترليون دولار^(*) وافضت الى انسحاب امريكي مزرب قبل ان تحقق ما وعدت به العالم من تحويل العراق الى نموذج ديمقراطي شرق اوسطي متميز تدل على عدم الوفاء الذي لا يليق بموقع امريكا العالمي وان عدم الوفاء هذا يشير الى حقيقة مفادها ان

(*)المزيد من التفاصيل -انظر -جوزيف ستيفلتز وليندا بيلمر -حرب الثلاثة تريليونات دولار -الكلفة الحقيقية لحرب العراق -- ترجمة سامي الكعكي - دار الكتاب العربي بيروت لبنان ٢٠٠٩

التمدد الامبريالي المفرط قد انتهى وللمرة الاولى في التاريخ الحديث الى العزوف الجزئي لبعض قطاعات الاقتصاد العالمي عن الارتكاز لعملة احتياطية اساسية في العالم هي عملة دولة مدينة لمنافسيها (الصين) مثلاً وعاجزة عن الايفاء بتعهداتها الدولية الاخلاقية واذا ما استمر الاقتصاد الامريكي بازمته المالية الحالية فربما سيكون هناك عزوف عالمي اقتصادي كلي.

وهنا ننتهي الى ما تنتهي اليه دائماً الحقائق العلمية الكبرى وهي ان لم يكن هناك تقسيم جديد للمهام الدولية تشترك فيه القوى الكونية الرئيسة، فسوف تتضاءل قوة امريكا ومن خلفها المؤسسات الغربية وسيحصل تنافس جيوسياسي جديد، وان لم تستطع الولايات المتحدة الصمود بوجه هذا التنافس فانها ستجعل من التاريخ الذي احتلت فيه المرتبة الدولية الاولى جزءاً من الماضي وشيئاً خلف ظهرها .

لقد اظهر الامريكيون خوفاً من المستقبل الخوف المتماهي مع فشلهم في العراق وافغانستان ومستقبل ايران النووي والعجز عن وضع حد لنشاط المنظمات الجهادية في لبنان وفلسطين تجليات الخوف الامريكي كما الخوف الاسرائيلي يمكن ملاحظته في موضوعتين اساسيتين.

الاولى التخلي الامريكي عن ربط الاسلام بالارهاب وهو ما اتت به وثيقة الامن القومي الامريكي لعام ٢٠١٠م واقتصار مفهوم الحرب العالمية على الارهاب الى حرب على منظمة ارهابية واحدة هي (القاعدة) مثلما تم التخلي عن فكرة الحرب الاستباقية او عقيدة بوش الاستباقية انطلاقاً من ان فشلها في اضعف دولتين اسلاميتين لا يوفر لها النجاح في دول شرق اوسطية اسلامية قوية .

الثانية- وهي ما احدثته حرب الثلاث والثلاثين يوماً على لبنان صيف عام ٢٠٠٦م والنتائج التي انتهت اليها تلك الحرب من عدم قدرة الدولة الاعظم على مساعدة اسرائيل في الخروج كما المرات السابقة بنتائج عسكرية او امنية تذكر وهي المرة الاولى التي يتعرض فيها الامن الوطني الاسرائيلي الى هزة عنيفة اقتضت مراجعة جادة لاستراتيجية الامن الاسرائيلي مما اضطرها للعودة والتوسل بفتح ملف المفاوضات مع الفلسطينيين على قاعدة حل الدولتين في محاولة لتحقيق امن اسرائيلي راسخ بعد تفاقم التهديدات الجدية محلية كانت او اقليمية وهو ما ينبغي ان يدركه المفاوض الفلسطيني ذلك انه يمتلك أوراق اللعبة باكملها .

وفي النهاية فان الولايات المتحدة ستكون مضطرة على ما يبدو الى انهاء تواجدها العسكري المباشر في منطقة الشرق الاوسط نظراً للكلفة الباهظة اقتصادياً وبشراً واستبداله باقامة ترتيبات امنية وسياسية ربما تفضي الى تحقيق قدر معقول من المصالح الامريكية المتوازنة مع مصالح دول الشرق الاوسط ، وهي ستخلى تدريجياً عن الخدمة المجانية لاعالة اسرائيل وتحقيق امنها وضمان تفوقها الاقليمي نظراً للعجز الاقتصادي الذي تعانیه والمديونية الاقتصادية الكبيرة والمتزايدة ، والا فانها ستدخل لا محال النفق التراتيبي لانهايم الامبراطوريات كما يذكر ارنولد توينبي في دورته التاريخية .